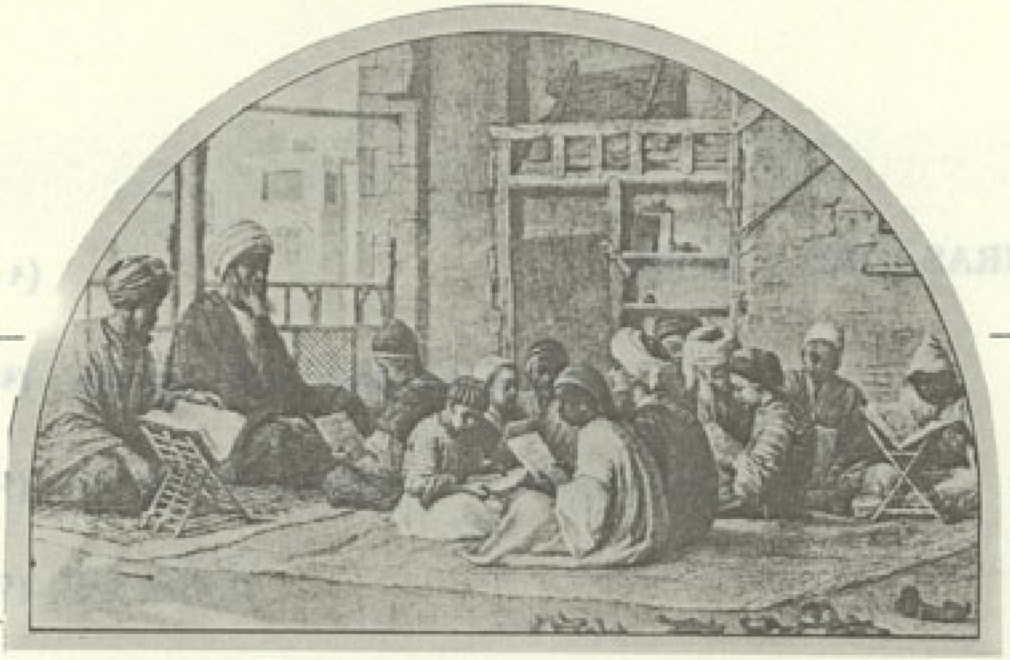

المأثورات الشعبية في المملكة العربية السعودية وأهمية جمعها ودراستها

تشهد المملكة العربية السعودية نهضة عمرانية وثقافية هائلة ·· ويذهل القادم اليها عبر التصورات القديمة عن بيئة الصحراء للمد العلمي والحضاري الهائل الذي يسهم في بناء أمة جديدة جديرة بالدور القيادي الذي تقوم به في العالم العربي والاسلامي ·

ان العالم كله ينظر الى المملكة على أنها الوطن الام للشعوب العربية فمن هنا ·· خرجت القبائل العربية في هجرات متوالية بعد الاسلام لتنشر الاسلام والعروبة في كل الارض العربية ·· وقد استقر الاسلاف في أقطار العالم العربي ·· وامتصوا الحضارات القائمة ·· وصبغوا كل البلدان العربية بالطابع الاسلامي العربي ·· وقد حمل الاسلاف معهم تراثهم من مأثورات شعبية وعادات وتقاليد وزرعوها في بيئات جديدة ، وظلت المأثورات الشعبية تتواتر عبر الاجيال الى وقتنا الحالي ، ويبرز السؤال ماهو المقصود بالمأثورات الشعبية ؟ · وما أهمية دراستها ؟ ·

وهذا يقودنا الى محاولة تبسيط موضوع المأثورات الشعبية ٠٠ ووضع السطور حول الجهود المبذولة في حقل الفنون الشعبية في العالم لنعود الى موضوع البحث وهو أهمية جمع ودراسة تراث المأثورات الشعبية في المملكة العربية السعودية ٠٠ وبأسلوب علمي منهجي يخدم الدراسة الانسانية ٠٠

الفنون الشعبية ٠٠ (فولكلور) :

حظيت الفنون الشعبية في قرننا هذا العشرين باهتمامات واسعة في شتى أنحاء العالم (١) ٠٠ ونشط الجامعون في كل أرجاء الدنيا لجمع المأثورات الشعبية وعلى جهود الجامعين قام الباحثون بدراسات مستفيضة على المأثورات الشعبية وظهرت نظريات سرعان ماتبلورت لتحدد معالم علم جديد يخدم الانسانية (٢) ٠

وقد شاع استخدام مصطلح الفولكلور في معظم بلدان العالم ٠٠ وقد ابتدع هذا المصطلح العلامة وليام جون تومز W. T. THOMS (٣) لاول مرة في عام ١٨٤٦ ، وهو مشتق من اللغة الانكليزية ويتألف من مقطعين FOLK وهو تحريف للكلمة الانجليزية القديمة FOLC بمعنى الناس أو الشعب والمقطع الثاني LORE بمعنى حكمة أو معرفة فيكون المصلطح بذلك فن الشعب ٠٠ أو فنون العامة أو حكمة الشعب ٠٠ أو الفنون الشعبية كما شاع استخدامها في اللغة العربية ٠٠ وقد اقترح جون تومز هذا المصطلح ليدل على دراسة العادات والتقاليد والمعتقدات والمأثورات الشعبية عموما والتي كانت معروفة حتى ذلك الحين بالآثار الشعبية القديمة Popular Antiquites وقد استخدم هذا المصطلح في أول الامر ليشير الى المادة الفولكلورية ثم شاع استخدامه بعد ذلك ليدل على العلم الذي يدرس المادة الشعبية ، أما الان فكما هو مقرر بين الباحثين فان مصطلح الفولكلور يدل على موضوع الدراسة ، أما العلم الذي يدرس هذه المادة فيستخدم مصطلح (علم الفولكلور) Folkloristics وقد ظهرت الى جانب هذين المصطلحين العالميين مصطلحات علمية مقابلة في الاقطار الناطقة بلغات غير الانجليزية ٠٠ فالالمان يستخدمون مصطلح

فولكسكنده Folkskunde بمعنى علم الفولكلور ر.. أما الفرنسيون والايطاليون وبقية الاقطار اللاتينية فقد استخدموا عدة مصطلحات مثل مشتقات كلمة ديموس Demos اليونانية الاصل والتي معناها (الناس) فظهرت مصطلحات « ديمولوجيا » Démologie أو ديمو سيكولوجي Démopsychologi أنثر بوسيكولوجي Anthroposychologie .. الخ الى أن استقر بهم الامر على مصطلح Lc Folklore وعلى ذلك فمصطلح الفولكلور ساد معظم الاقطار بالتدريج .

تعريفات الفولكلور وعلاقته بالعلوم الانسانية :

اختلف العلماء في طبيعة علم الفولكلور والحدود التي تفصله عن بقية العلوم الانسانية التي تتداخل معه في نفس البحث مثل الاثنولوجيا والانثربولوجيا وقد اختلف العلماء في تحديد مصطلح الفولكلور وماهيته (٤) ويعلق العلامة الامريكي طومسون على صعوبة تحديد تعريف شامل لمصطلح الفولكلور فيقول : على الرغم من أن مصطلح الفولكلور قد مضى عليه أكثر من قرن من الزمان فليس هناك اتفاق على معنى الكلمة .. ثم يقرر أن الفكرة الشائعة في الوقت الحاضر هي أن الفولكلور هو التراث .. وقد ظلت كل من الاثنولوجيا والانثربولوجيا تتصارعان على أحقية كل منهما بالدراسات الفولكلورية .. وقد ربط الالمان الدراسات الفولكلورية بالدراسات القومية .. أما الانثربولوجيين فقد كانت حجتهم في ربط الفولكلور بدراساتهم أن الفولكلور هو الرواسب العلمية والثقافية للتجربة الانسانية والتي توغلت في لاشعور الشعوب .. وهو بذلك الموروثات الثقافية Cultural Survivals في شعب من الشعوب في المراحل المتأخرة من الثقافة .

الفولكلور هو العناصر الشفهية :

يعرف TAYLOR الفولكلور بأنه المواد التي انتقلت شفاهة من جيل الى جيل دون أن يعرف مؤلفها الاصلي .

ويؤيد (هرزوج) هذا الرأي ويقول أن الفولكلور في الولايات المتحدة هو التراث الشفاهي من حكايات وأغان شعبية وأشكال التعبير الشفهية كالموسيقى والرقص والعادات والتقاليد ٠٠ الخ ٠٠ ويقرر باسكوم Bascom في قاموس الفولكلور الامريكي بأن الفولكلور هو أشكال التعبير الفني التي تستخدم الكلمة ، فالفلكلور هو الادب الشعبي كذلك يقول جادو Gaidaz أن الفولكلور هو المأثورات الشعبية بكافة أشكالها وأساسها الشفهية والتلقائية ٠

الفولكلور هو ثقافة الشعب :

يقول باليس Balys أن الفولكلور هو الابداع الشعبي مهما كانت درجة التمدين وعلى أي مستوى حضاري ٠

أما القاموس الامريكي فيعرف الفولكلور بأنه ذلك الجانب من ثقافة الشعب الذي حفظ شعوريا أو لاشعوريا في العقائد والتقاليد والممارسات والعادات والحكايات الشعبية ٠٠

ويعرف ليتش Leach الفولكلور بأنه المعرفة المدخرة للعامة ٠ وقد أوصى مؤتمر الفولكلور المنعقد في أرنهيم Arnhem في هولندا ١٩٥٥ بتعريف الفولكلور بأنه المأثورات الشعبية بكافة أشكالها والاغاني الشعبية والامثال الشعبية والفنون التشكيلية الشعبية ٠٠ الخ ٠٠

المأثورات الشعبية العربية وتاثيرها في التراث العالمي :

يحتاج الامر لجهود كبيرة حتى يمكن توضيح التأثيرات العربية في التراث العالمي للمأثورات الشعبية ٠٠ فنحن جمهرة الباحثين نصطدم عند اطلاعنا على المصادر الاجنبية التي تقوم بالدراسات المقارنة للمأثورات الشعبية في العالم بالعبارة التقليدية التي توصم بها منطقتنا العربية (مناطق مغلقة) ويقصد بها ندرة

التجميعات للمأثورات الشعبية الشفهية ·· وفي الوقت الذي نشطت فيه المدرسة التاريخية الجغرافية أصحاب المنهج الفنلندي Historic Geographic Method في البحث عن الاوطان الاصلية لكثير من المأثورات الشعبية ·· لم يعرف الباحثون الاوربيون عن تراثنا الشفاهي الا ما اطلعوا عليه من ترجمات للمدون العربي الشعبي « ألف ليلة وليلة » خاصة بعد أن ظهرت ترجمة جالاند « لألف ليلة وليلة » وحيث أن « الليالي » مشكوك في أن مصدرها الاصلي هو الهند ·· فقد تشكلت نظريات هجرة المأثورات الشعبية على أنها مأثورات هندية ترسبت في اللاشعور الجمعي للشعوب الاوروبية وكان أسلاف الاوربيين من الشعوب (الهندوأوربية) ، قد حملوها معهم ! ·· وكان هذا رأي (الاخوان جرم) في تراث الحكاية الشعبية الالمانية ·· فحتى طرز الحكايات التي لها شبيه في ألف ليلة وليلة أرجعها وليم جرم الى أصلها الهندي ·

الثقافة العربية وأوربا :

اتفقت التعريفات والآراء على أن المأثورات الشعبية تنتقل شفاهة ·· وهي بذلك تهاجر من اقليم لآخر دون حدود ·· ولقد احتكت شعوب أوروبا بالثقافة العربية ·· وكلنا يعلم أن العرب عاشوا واستقروا في الاندلس قرابة ثمانية قرون وان الثقافة الاسلامية والعربية وضعت جذورها في شرق أوروبا وصقلية ، وأن الاوروبيين عاشوا في مشرقنا العربي من القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر ابان الحروب الصليبية ·· وان الشرق العربي كان معبر التجارة العالمية قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وقبل تحول التجارة بعد الكشوف الجغرافية ، وكلنا يدرك أن شعوب حوض البحرالمتوسط الاوربية ظلت على علاقات وثيقة بالثقافة العربية عشرات القرون ·· فلماذا اذن تغفل الدراسات الاوروبية تراث المأثورات الشعبية العربية وتأثيراتها على التراث العالمي ؟ ·· لقد حدثني د · دورسون أستاذ الفولكلور في جامعة انديانا بالولايات المتحدة أثناءزيارته للقاهرة شتاء ١٩٧٠ بأن علينا نحن العرب واجب ثقيل وهو أن نسارع بجمع تراث المأثورات الشعبية الشفهية ·· وانشاء أرشيف للمأثورات الشفهية ·· وقال ان هذا سيجعل نظريات كثيرة تنهار ·· وتظهر بوضوح الينابيع العربية التي غذت التراث الانساني على مدى التاريخ ·

الجهود المبذولة في حقل الفولكلور في العالم العربي :

بدأت في الخمسينات من هذا القرن حركة اهتمام بالمأثورات الشعبية وبعد أن نجح الرواد أمثال الدكتور / عبد الحميد يونس أستاذ الادب الشعبي بجامعة القاهرة في تخصيص كرسي أستاذية للادب الشعبي ضمن قسم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة القاهرة ·· اكتشفوا أن الفولكلور يشمل نظرة أوسع للتراث الشعبي ·· فهو الى جانب شموله على كافة أشكال الادب الشعبي Folk Litrature يتضمن أشكال أخرى من التعبير الشعبي مثل الرقص الشعبي والعقائد والتقاليد والعادات الشعبية وطرز البناء والفنون التشكيلية الشعبية ·· الخ ·· وقد جاهد الرواد الاوائل أمثال الدكتور / عبد الحميد يونس ، والدكتور / عبد العزيز الاهواني والاستاذ أحمد رشدي صالح في مصر حتي نجحوا في انشاء أول هيئة علمية تشرف على جمع وتسجيل ودراسة التراث الشعبي ألا وهو مركز الدراسات الشعبية بالقاهرة ·· الذي يعد بحق رائد حركة الاهتمامات بالمأثورات الشعبية العربية ·· وبعد ذلك وضع مشروع معهد الفنون الشعبية ضمن أكاديمية الفنون المصرية ··· ورصد له ميزانية ضخمة ·· وتعلقت آمال الباحثين الفولكلوريين العرب به ، ولكن تأجل تنفيذ هذا المعهد الذي كان حاجة حيوية للثقافة العربية ··

وقد ساهم مركز الدراسات الشعبية في القاهرة بتخريج وتدريب وتثقيف العديد من باحثي الفولكلور ·· وتسليحهم بأساليب منهجية من العمل بتنظيم دورات علمية واشراكهم في العمل الميداني ·· وقد برز هؤلاء الباحثون وظهرت بحوثهم وتجميعاتهم لتلبي حاجة قومية قصوى ·· بل وتحركوا في أرجاء الوطن العربي ليسهموا في جمع وتسجيل وتصنيف المأثورات الشعبية العربية ·· نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الباحث / صفوت كمال الذي يشرف على مركز الفنون الشعبية في الكويت الشقيق ·· حسني لطفي وعدلي محمد ابراهيم اللذان يساهمان الآن في انشاء وتطوير مركز الفنون الشعبية بجمهورية ليبيا ·· د ·· أحمد مرسى أستاذ الادب الشعبي بجامعة القاهرة ·· د ·· حسن الشامي أستاذ علم الفولكلور بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة ·· د ·· محمد الجوهري الاستاذ بجامعة القاهرة ·· الباحث الفولكلوري عبد الحميد حواس ، وقد أسهم الاخيران بترجمة دليل الفولكلور ولهما جهود ينتظرها الباحثون العرب وقد ساعد المركز الباحثين العرب من كافة الاقطار

بعقد دورات تدريبية لهم ولازال يقوم بدوره في اثراء حركة الفنون الشعبية في العالم العربي ٠

مراكز الفنون الشعبية في العالم العربي :

نشط الباحثون في أرجاء العالم العربي ٠٠ وأنشأت مراكز الفنون الشعبية لتواكب العالم المحموم لجمع المأثورات الشعبية بغية الوصول الى فهم أعمق للنفس البشرية ٠٠ وفي عالمنا العربي برزتكل منالكويت والعراق باهتمامهما المبكر بانشاء مراكز الدراسات الشعبية ٠٠ وفي السودان حركة طيبة يقودهاشبان متحمسون أمثال الطيب عبد الله الطيب وآخرون وأنشأت الحكومة السودانية مصلحة كاملة للاشراف على الدراسات الفولكلورية ٠٠ وفي الاردن الشقيق باحثون ممتازون أمثال نمر سرحان وزملائه الذين يقومون بعمل كبير وان جاء متأخرا ٠٠ ونحن في حاجة ماسة لهم لجمع وتسجيل تراث المأثورات الشعبية في الاردن وفلسطين خاصة وأن العدو الاسرائيلي قد نفذ مخططا كبيرا ماكرا لانتهاب التراث العربي الفلسطيني ونشره على أنه هو التراث اليهودي ! ٠٠

وهكذا نجد أن حركة الاهتمام بالمأثورات الشعبية قد بدأت تأخذ طابعا قوميا وجماعيا وهذا يبشر بخير كثير ان شاء الله ٠

المملكة العربية السعودية والتراث العربي للمأثورات :

ابان تجميعي لتراث الحكاية الشعبية النوبية (٦) في جنوب مصر اكتشفت نصا جميلا وغريبا في ذات الوقت ٠٠ وجمعت أكثر من عشرة نصوص من نفس الحكاية ! ٠٠ ونشرت مع بحث بمجلة الفنون الشعبية العدد الاول ٠٠ وبرز السؤال في ذلك الوقت ٠٠ الى أي حد يؤثر ولا زال يؤثر تراث المأثورات الشعبية في المملكة العربية السعودية ٠٠ (ونقصد تراث نجد والحجاز بالتحديد) في تراث المأثورات الشعبية في الوطن العربي ؟ ٠٠ ذلك أن الحكاية واسمها (نجد وفانه) ذات طبيعة عربية في أحداثها ورموزها وأدواتها ٠٠ و (نجد) معروف فهو اسم هذا الاقليم الطيب من المملكة ٠٠ وفانه تحريف لاسم « فاطمة » والحكاية تروى عن أخ طيب اسمه « نجد » له شقيقة فاتنة الجمال اسمها (فانة) يحبها الاخ نجد حبا عظيما لأنه

رباها ولانها يتيمة ٠٠ ويحدث أن يتزوج الاخ (نجد) من امرأة عاطلة من الجمال تشعر بالغيرة من عطف زوجها الشديد على شقيقته وتغنيه الدائم بجمالها ٠٠ فتدبر بعض الالاعيب والمكائد حتى تفرق بين نجد وشقيقته ٠٠ لكن سرعان ماتظهر الحقيقة وتنال الزوجة الشريرة جزاءها ٠٠ وتتزوج فانة من شاب طيب ويتزوج نجد من امرأة أخرى خيرة ! ٠٠ والحكاية عربية لحما ودما تتحدث عن العلاقات الاسرية ٠٠ وعن شهامة وكرم وذكاء الانسان العربي ٠٠ وعفة وعقل الفتاة العربية والحكاية سجلت من قبائل الكنوز وعرب العقيلات في منطقة النوبة السفلى بين أسوان ووادي العرب ٠٠ وعرب العقيلات يعيشون في النوبة بعد هجرة عمرها أكثر من ألف سنة ٠٠ ولا زال للعقيلات كما سمعت هنا عروق في نجد ٠٠ وفي القصيم بالذات ٠٠ وتترك الحكاية العربية النوبية بلا تعليل ٠٠ فالى أن يتم تجميع تراث نجد من المأثورات سيظل التساؤل بلا اجابات شافية ٠٠

وهذا النموذج المبسط لدراسة مضت عليها أكثر من عشر سنوات منذ نشرها يقودنا الى ذكر حقيقة توضح دور المملكة العربية السعوية في تراث المأثورات العربية ٠٠

من المعروف أن القبائل العربية خرجت في سلسلة من الهجرات بعد الفتوحات الاسلامية ٠٠ واستطاعت مع تعاقب الاجيال أن تشكل غالبية الشعوب في المنطقة العربية ٠٠ وهذه القبائل حملت معها في هجرتها المأثورات الشعبية الشفهية وتراثها من عادات وتقاليد وأساليب البناء الشعبي وكافة أشكال الممارسات الشعبية العربية التي انتشرت وازدهرت وتخللها التغيير بالاخذ والعطاء ٠٠ لقد قامت تلك القبائل بزرع تراثها في بيئات جديدة فنبتت جذور لازالت تحمل نفس الثمار ٠٠ ولعلنا أدركنا من مقدمة هذا البحث أن المأثورات الشعبية تتميز بشفهيتها وتواترها عبر الاجيال ٠٠ وبهجرتها مع الانسان ٠٠ من هنا يتضح لنا الصلات الوثيقة بين تراث المأثورات الشعبية في العالم العربي وتراث المأثورات الشعبية في المملكة ٠٠ ويبتديء السؤال كيف يمكننا توضيح هذه العلاقات ٠٠ورصد أوجه التشابه في التراث العربي ومعرفة الوطن الام لكثير من المأثورات الشفهية العربية ؟؟ لن يتأتى ذلك الا بالاسراع بجمع وتسجيل التراث الشفاهي في المملكة ٠٠ وبعد الجمع تقوم الدراسات المقارنة في شتى أنحاء الوطن العربي ٠٠ وعندها يتضح أصول الكثير من المأثورات

الشعبية في الوطن العربي ٠٠ وبعدها يكون الطريق ممهدا لانشاء أرشيف عربي للمأثورات الشعبية يخدم الباحثين في أرجاء الدنيا ٠

مركز الدراسات الشعبية السعودي :

لازال الامر مختلطا في أذهان الكثيرين ٠٠ فهم يتصورون أن جمع التراث هو لخدمة الحركة الفنية برصد نماذج للاغاني الشعبية والرقصات الشعبية ٠٠ ولكن الامر أبعد من ذلك بكثير ٠٠ فنحن في حاجة الى مجموعة من الجامعيين المدربين من أبناء المملكة يقومون بجمع العناصر الشعبية بأسلوب علمي منهجي بعيد عن المظهرية والارتجال ٠٠ وموضوع جمع العناصر الشعبية في حاجة الى دراسة مستفيضة نرجو أن نقوم بها ان شاء الله ٠

نماذج من المصطلحات الفولكلورية :

ويهمنا في نهاية هذا البحث أن نورد ترجمة بعض مصطلحات الفولكلور حيث أن الباحثين قد عانوا كثيرا من تباينها ٠٠ وهذه المصطلحات نوقشت في اجتماعات جمية التراث الشعبي المصرية التي أسست ١٩٦٨ ٠٠ كذلك أجمع عليها الكثيرون من أساتذة وباحثي الفولكلور العرب ٠

الترجمة العربية	
التراث أو المأثورات	Traoition
المأثورات القديمة	Olo Tradition
التراث الشفاهي	Oral Tradition
الثقافة المأثورة	Traditional Culture
العادات المأثورة	Traoitional Customs
المأثورات الروحية الشعبية	Spiritual Traditions
الحكاية الشعبية	Folk Tale (Murchen)

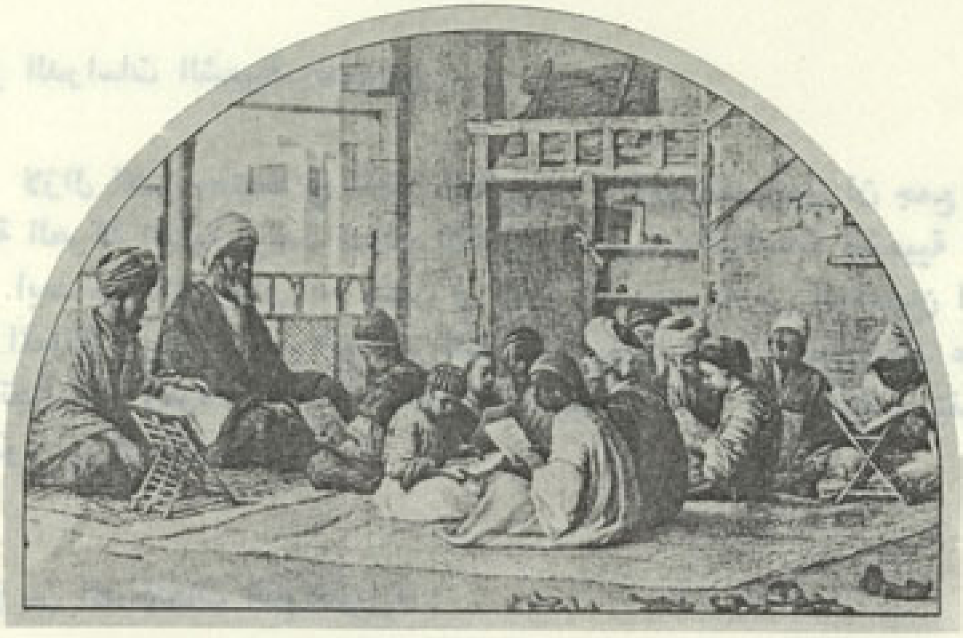

حكاية تعليلية (أسطورة)	Myth
حكايات الحيوان	Animal Tales
حكاية الجنيات	Fairy Tales
حكاية البطل	Hero Tale
حكاية رمزية	Fable
حكاية العجائب	Wonder Tale
قصص الخوارق	Legends
الطـــراز	Type
موتيفـــه	Motif
الادب الشعبي	Folk Literature
الاغاني الشعبية	Folk Songs
أغنية روائية	Ballad
السجـــع	Jingles
الموسيقى الشعبية	Folk Music
الملاحم الشعبية	Sagas
العقائد الشعبية	Folk Belifs
علم الثقافة المقارن	General Ethnology
الامثال الشعبية	Proverbs
شفهـــي	Oral
الالغـــاز	Riddels
الابداع الشعبـــي	Popular Fiction
طرز البيـــوت	House Types
الزينة الشعبيـــة	Ornaments
الفنون والحرف الشعبية	Folk arts and crafts
العمارة الشعبية	House building
الرسم والتلوين الشعبي	Folkpainting
الطب الشعبي	Folk medicine
متحـــف شعبي	Folk museum

المـــراجـــــــع

١ - The Science of folklore Alexanorh. krppe 1930

٢ - Chorlott Burne (The hand book of folklore) 1913

٣ - Margaret hunt (Grimis Household Tales) London 1884

٤ - Stith tho mpson (The folk talle) New York 1951

٥ ـ الطبيب عبد الله الطيب وآخرون دليل الباحث السوداني لجمع الفولكلور ، الخرطوم ١٩٧٣

٦ ـ د ٠ نبيلة ابراهيم « أشكال التعبير في الادب الشعبي » القاهرة ١٩٧٤

٧ ـ مجلة الفنون الشعبية ـ القاهرة الاعداد ١ ، ٢ ، ٦ ، ٢ ، ٧

الهوامش :

١ - Stith thompson (The folk talle) (New York 1951)

٢ ـ نفس المرجع ص ٣٦٨

٣ ـ مجلة الفنون الشعبية القاهرة العدد ٦ ـ مقال للاستاذ صفوت كمال بعنوان « جمع العناصر الشعبية »

٤ ـ (الطبيب عبد الله الطيب وآخرون) دليل الباحث السوداني لجمع الفولكلور الخرطوم ١٩٧٣

٥ ـ د ٠ نبيلة ابراهيم سالم « أشكال التعبير في الادب الشعبي » ص ٦٦

٦ ـ مجلة الفنون الشعبية القاهرة ٠٠ العدد الاول يناير ١٩٦٥ مقـــال للكاتب بعنوان (الحكايات الشعبية النوبية) ص ١٢٥